الورشات الحرفية لصناعة الفخار والخزف بمدينة تيبازة "ورشة فن وخزف" أنموذجا

Artisanal workshops making Pottery and ceramic in the city of Tipasa "Art and ceramic workshop" as an example

1- زوليخة تكروشين*، المركز الوطني للبحث في علم الآثار (الجزائر)
zoulikha42@hotmail.com
tikarouchine.z@cnra.dz
2- عائشة حنفي ، معهد الآثار جامعة الجزائر 2 (الجزائر)
aicha.hanafi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/06 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

تعتبر صناعة الفخار والخزف من بين الحرف القديمة التي حظيت باهتمام أسلافنا القدامى منذ العصور الأولى، إذْ كان لها دور فعال في التعريف بهوية المجتمعات لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بحياتهم اليومية. ولأنها من الحرف العريقة التي عرفتها الجزائر منذ القدم، استمر إنتاجها وتطويرها من طرف الصناع و الحرفيين، حتى أصبحت لها تقنيات صناعية وزخرفية متنوعة، وأنشئت لها ورشات لا يزال بها إنتاج المصنوعات والتحف قائما ومتوارثا إلى يومنا ، حفاظا عليها كموروث ثقافي واجتماعي يُعرّف بهوية المجتمع الجزائري من جهة، ومورد اقتصادي وسياحي يُلبّي احتياجات السُيّاح وحتى الأهالي من جهة أخرى.

نهدف من خلال هذه الورقة البحثية، إلى التعريف بإحدى الورشات المشهورة في مدينة تيبازة ألا وهي **"ورشة فن وخزف"** وبصاحبها الفنان الحرفي رضا الساحلي، التي لا زالت تُنتج نماذج جميلة ومتقنة جدا ، تدل على مهارة حرفيي منطقة تيبازة العريقة. فكيف نشأت هذه الورشة، وما نوع منتجاتها الصناعية والفنية؟

كلمات مفتاحية: ورشات حرفية، تيبازة، رضا الساحلي، فخار، خزف.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

Pottery and ceramics are among the ancient crafts that attracted the attention of our ancestors since the earliest times, as they played a crucial role in reflecting the identity of societies, being closely linked to their daily lives. As one of the time-honored crafts known in Algeria since antiquity, its production and development have been continuously maintained by artisans and craftsmen, leading to the establishment of diverse manufacturing and decorative techniques.

Dedicated workshops were created, where the production of ceramic objects and artistic pieces is still carried out and transmitted to the present day. This persistence has safeguarded pottery and ceramics as a cultural and social heritage that embodies the identity of Algerian society on the one hand, and as an economic and touristic resource that meets the needs of both visitors and local communities on the other.

Through this research paper, we aim to highlight one of the renowned workshops in the city of Tipasa, namely the "Art and Ceramics Workshop" founded by the craftsman-artist Reda Sahli, which continues to produce highly refined and aesthetically remarkable pieces, testifying to the longstanding craftsmanship of the artisans of Tipasa. This raises the questions: how did this workshop come into being, and what types of industrial and artistic products does it offer?

Keywords: Artisanal workshops; Tipasa; Reda Esseheli; Pottery; Ceramic.

- **مقدمة**

تُعد صناعة الفخار والخزف من أعرق الصناعات التي عرفها الإنسان، إذ تشكل إحدى أهم الشواهد الأثرية التي يعتمد عليها الباحثون في إعادة بناء التسلسل الزمني لمراحل التطور الحضاري والفني عبر العصور. وتمثل هذه الصناعة حلقة وصل بين الإنسان المعاصر ومجتمعات الماضي، بما تحمله من دلالات مادية وثقافية توثق مظاهر الحياة اليومية والرمزية في آن واحد. وقد أولى الصانع

الجزائري لهذه الحرفة عناية خاصة، فطوّر تقنياتها وأبدع في زخرفتها، ما أدى إلى إنشاء ورشات متخصصة لا تزال تنتج نماذج متنوعة، تس اهم في الحفاظ على الموروث الحضاري والاجتماعي الذي يرمز إلى هوية المجتمع الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى في تلبية متطلبات السوق السياحية والاقتصادية.

وفي هذا السياق، سنركز من خلال هذه الورقة البحثية على إحدى الورشات الحِرفية البارزة بمدينة تيبازة، وهي "ورشة فن وخزف" للفنان الحرفي رضا الساحلي، التي ظلت منذ سنوات طويلة محافظة على هذه الصناعة بأسلوب يجمع بين الأصالة والمعاصرة. فقد سعى صاحبها إلى إعادة إحياء تقنيات قديمة استُعملت في الفترات ال قديمة والإسلامية، مستعينًا بمواد أولية حديثة وأدوات من صنعه، بهدف الوصول إلى منتجات ذات قيمة فنية وأثرية تضاهي التحف الأ ثرية. وقد قام بتجارب مخبرية دقيقة لمحاكاة العجائن الفخارية المستعملة قديماً، كما تلقّى تكوينا متخصصا في إسبانيا، وشارك في معارض وطنية ودولية حقق من خلالها شهرة واسعة.

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بالورشة وصاحبها، والأدوات والمعدات المستعملة فيها، مع إبراز التقنيات الصناعية والأساليب الزخرفية التي يوظفها في تشكيل الأواني والتحف. كما نسعى إلى عرض أبرز النماذج المنتجة بالورشة التي تحمل بصمته الفنية الخاصة، من خلال معاينة ميدانية شملت زيارة الورشة، والاطلاع على قاعاتها ومعداتها، وتصوير مجموعة من منتجاتها.

ومن هذا المنطلق نتساءل: كيف نشأت وتطورت هذه الورشة وما نوع التحف التي تنتجها، وماهي مقومات استمراريتها واستغلالها في المجال الاقتصادي والسياحي؟

1. تعريف الفخار والخزف وتطور صناعتهما:

يُعتبر الفخار ضرب من الخزف، تُعمل منه الجرار والكيزان (أواني للشرب أو حفظ الماء)

وغيرها، والفخارة الجرة، وجمعها فخار [1]. ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى: **"خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ صَلْصَالٍ كالفخار"**[2]. والفخاري بائع الفخار وصانعه [3]. وقد عُرف الفخارون بالقلالين نسبة إلى القلال كنوع من الأواني المنزلية [4]. أما الخزف فهو كل ما يُصنع من الطين ويُحرق في النار، ويُسمّى العامل في هذه الحرفة وصانعها وبائعها بالخزّاف [5].

1.1خصاص الفخار:

الطين هو كل تربة طبيعية تتحول إلى عجينة عند مزجها بالماء، وهذه العجينة تتميز بخاصيتين أساسيتين تقوم عليهما صناعة الخزف. وهما خاصية اللدونة التي تكتسبها بخلطها مع الماء وتصبح قابلة للتشكيل والصنع، وخاصية الصلابة التي تتأثر بفعل الحرارة [6]. والفخار والخزف كلاهما من طينة الصلصال لكن يجدر بنا تبيان الفرق بينهما، حيث أن الفخار يُصنع من طين محروق (أو مفخور) في النار دون طلاء، وتتميّز طينته بكونها أقل صفاءً ، وهو هشّ وكثير المسام وأقدم من حيث الاستخدام [7]. أما الخزف فطينته أكثر نقاء وصلابة من الفخار، وتتطلّب صناعته مراحل أكثر تعقيدا مقارنة بصناعة الفخّار، حيث يُعجن الطين بالماء أولًا ثم يُحرق في الفرن، ثم يغطى بطبقة من الطلاء، ليعاد حرقه ثانية ويُزين بالألوان [8].

2.1 لمحة عامة عن تاريخ صناعة الفخار:

عُرف الفخار بتاريخه العريق، إذ استغل استخدامه المصريون القدامى من ترسبات فيضانات

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العُبيْدي، ج 10، حرف الفاء، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1419هـ/1999م، ص 199.

[2] سورة الرحمان، الآية 14.

[3] بطرس البستاني، **قطر المحيط**، ج2، د ط، بيروت، 1869م، ص 1568.

[4] عبد اللطيف الخلابي، **الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي (669 . 960 هـ/ 1270 . 1550م)**، أطروحة لنيل دكتوراه وطنية في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس (المغرب)، 2007 . 2008م، ص 155.

[5] بطرس البستاني، المصدر السابق، ج1، ص 528 . 529.

[6] Emile B, **Traité Des Industries Céramique**, in Encyclopédie Industrielle Gauthier, Villars et Fils Imprimeurs, Librairies, Paris, 1897, P 43-45.

[7] الباشا حسن، **مدخل إلى الآثار الإسلامية**، دار النهضة العربية، د ط، القاهرة، 1990م، ص 249 . 250.

[8] سعاد محمد ماهر، **الفنون الإسلامية**، مكتبة هلا للنشر والتوزيع، ط2، د.ت، ص 18.

النيل، كما عرف الآشوريون صناعته إلا أن لدونته كانت أقل وتشكيله أصعب، فتداركوا هذا النقص بإضافة التبن والأعشاب إلى العجينة المخصّصة لصناعة الآجر والأواني الخشنة. وحذت الحضارات الأخرى حذوهم، إذ تشابهت المصنوعات عند الفينيقيين والرومان والهند وبلاد الغال وإفريقيا، وتمثلت في الجرار التي تحوي الأطعمة والسوائل، وتنوعت أشكالها حسب الاستعمالات والوظائف، وحسب المستوى الاجتماعي والثقافي للمجتمعات أيضا. كما أن عجينة مصنوعاتهم كانت تختلف بين اللدونة والتوسط في الصلابة، وبألوان تتنوع بين الأبيض المُصْفرّ أو الرمادي، إلى الأصفر البرتقالي أو الرمادي[9].

أما تقنية التزجيج في طلاء الفخار، فقد كان للمصريين السبق في استخدامها منذ القرن 15 ق.م، لكنها تلاشت بعد غزو الرومان لمصر. وتأثر الآشوريون والكلدانيون بعدهم فصنعوا فخارا مشابها له، وخَلَفهم في ذلك الفرس الذين برعوا في فن صناعة الخزف، خاصة الخزف ذو الحجم الكبير الذي تميز بدرجة كبيرة من الاتقان لا نظير لها. ثم واصلت صناعة الخزف الفارسي رحلتها قرابة 1000 سنة حتى وصلت في القرن 1هـ/7م إلى ذروتها. ولم تتوقف خلال الحكم الإسلامي في بلاد فارس، بل استمرت بعده وانتشرت في سوريا ومصر واليونان وإسبانيا[10]. كما عرفت جزيرة رودس صناعة الأواني الفخارية ذات زخارف نباتية تعود إلى الفترة المسيحي ة، تمثلت في الأطباق والجرار والأكواب وغيرها. وكان للمسلمين في إسبانيا أثر كبير في ازدهارها. إذ ظهرت في القرن 5هـ/ 11م صناعة جديدة في جزيرة ميورقة بمالقة، تميزت بشكل رئيسي بخصائص الخزف الفارسي بانعكاسات معدنية للتزجيج [11] والذي يطلق عليه في الفن الإسلامي بالبريق المعدني. كما سجلت في صقلية صناعة خزفية بمميزات إسلامية واضحة خلال القرنين 8 و9هـ/ 14 و15م.

تطورت صناعة الفخار والخزف في العالم الإسلامي ت طورا كبيرا، وامتازت منتوجاته بالغزارة والاتقان، و التعدد في الأشكال وفي طرق الصناعة وأساليب الزخرفة[12]، وذلك بفضل التأثير والتأثر اللذين نتجا عن الفتوحات الإسلامية للأقطار التي كان لها ماضٍ عريق في هذه الصناعة الفنية ، والتي خضعت للحكم الإسلامي الموحَّد كمصر والعراق والشام وبلاد فارس والصين وغيرها، إذْ حدث تبادل في الخبرات في مختلف المجالات منها مجال صناعة الفخار والخزف، مما أدى إلى ظهور نهضة صناعية وفنية واسعة. ولم يكتفِ الصُنّاع والفنانون المسلمون بهذا التأثير، بل أخذوا في تطوير وابتكار أساليب

[9] Emile B, Op.cit. P 15-18.
[10] Ibid, P 20-22.
[11] Ibid.

[12] سعاد محمد ماهر، المرجع السابق، ص 18.

جديدة لم تكن معروفة من قبل سواء من حيث الصناعة أو الزخرفة[13].

2. التعريف بورشة "فن وخزف":

هي إحدى الورشات الحِرفية المعروفة في مدينة تيبازة، والتي حافظت على هذه الصناعة بأسلوب يجمع بين الأصالة والمعاصرة. إذ سعى صاحبها والمشرف عليها إلى تطويرها وفق معايير وتقنيات مستعملة منذ القدم، فابتكر نماذج متميزة تعود إلى فترات مختلفة، منها ال قديمة والإسلامية، مستخدما مواد أولية حديثة ومعدات من صنع يده، ليُنتج قطعا ذات قيمة تضاهي التحف الأثرية القديمة[14].

1.2 موقع الورشة:

تقع ورشة "فن وخزف" في حي وادي مرزوق جنوب شرق مدينة تيبازة، على الطريق المؤدي إلى جامعة مرسلي عبد الله. تأسست فعليا سنة 2003م بعدما نمت وتطورت فكرة إنشائها لدى صاحبها منذ سنة 1991م، لتستمر وتصبح ورشة بكامل عتادها ووسائلها. (الخريطة 1)

الخريطة 1:



موقع الورشة (عن Google Earth بتصرف)

[13] الباشا حسن، المرجع السابق، ص249. 250.

[14] معلومات استقيناها من صاحب الورشة خلال لقائنا به.

2.2 التعريف بصاحب الورشة:

هو الفنان الحرفي رضا الساحلي من مواليد 1967م، خرّيج المعهد العالي لتكوين إطارات الشباب بتقصراين بالجزائر العاصمة ، تخصّص فنون تشكيلية والأول على دفعته سنة 1988م. يعتبر فنانا وحرفيا في آن واحد، فهو فنان لأنه مختص في الفن التشكيلي، وحرفي لأنه مختص في الخزف الفني، ومن هواياته الرسم والنقش على الجبس والحجر. تقلد منصب مدير دار الشباب بمدينة تيبازة مدة 15 سنة، وهو حاليا نائب رئيس الجمعية الوطنية للخزافين الجزائريين "أيادي". قام بعدة تربصات في جامعة مدريد بإسبانيا وتخصص في صناعة النماذج طبق الأصل للتحف التاريخية كالإغريقية والرومانية والإسلامية (The Historical Replica) سنتي 2008م و 2010م، حيث تمكن من تقليد المصنوعات القديمة ذات القيمة التاريخية شكلا ومادة وتقنية. شارك في العديد من المعارض الوطنية في كل الولايات، وكذا المعارض الدولية في عدة بلدان منها الكويت وأبو ظبي وتونس وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا وسويسرا وبولونيا والبرتغال. هذا ما جعله يشتهر بصناعته الحرفية، ويكون له نصيب فيها لفائدة متحف اللوفر بفرنسا بإنجاز مربعات خزفية إسلامية مازالت محفوظة به لحد الآن. كما تحصّل على الجائزة الأولى وطنيا في الخزف الفنّي لسنوات 2004م، 2011م، 2012م، 2013م[15].

3.2 قاعات الورشة ومعداتها:

تضم الورشة عدة قاعات وغرف وورشات تحتوي على آلات ومعدات ، البعض منها صنعها الحرفي بنفسه وفق احتياجاته، لاستعمالها في إنجاز التحف بدءًا من إعداد العجينة وتشكيلها إلى غاية الانتهاء من زخرفتها وعرضها:

1.3.2 قاعة الصبّ والقولبة والتجفيف : تتمثل في قاعة واحدة تضم عدة أقسام، منها قسم مخصص لتقنيات التشكيل بمختلف أنواعها كالدولاب والقولبة. وقسم مخصّص لعملية تجفيف الأواني بواسطة آلة المجفف، وهي آلة صنعها الحرفي بنفسه في غرفة خاصة لتجفيف الأواني المصنوعة التي يتم تشكيلها في القسم المخصص للتشكيل والقولبة، عِوَض تجفيفها في الهواء الطلق، حيث يتكون هذا المجفف من أنبوب معدني به ثقوب لتوزيع الهواء في كامل الغرفة. (الصورة 1)

الصورة 1:

[15] معلومات استقيناها من صاحب الورشة خلال لقائنا به.



قاعة الصب والقولة والتجفيف (عن الباحثتين)

كما تحتوي القاعة ذاتها على عدة آلات، منها آلة لتشكيل عجينة المقابض مثبتة في الجدار، يتم وضع العجينة بها لتخرج على شكل حبال طينية ملساء، يستعملها الحرفي لتشكيل المقابض وإضافتها على الأواني. (الصورة 2)

الصورة 2:



آلة تشكيل عجينة المقابض (عن الباحثتين)

2.3.2 ورشة الجبس: يتم فيها صنع قوالب الجبس بواسطة آلة تشكيل القوالب بغرض استعمالها في عملية الصبّ، حيث تُثبّت على الطاولة وتوضع فوقها كتلة من الجبس، ثم يقوم الحرفي بنحتها بواسطة آلة حادة من أجل الحصول على الشكل المطلوب للقالب. (الصورة 3)

الصورة 3:



آلة تشكيل القوالب (عن الباحثتين)

3.3.2 قاعة الأفران: تحتوي هذه القاعة على ثلاثة أنواع من الأفران أفران تتم فيها عملية ال حرق: الفرن المربع والفرن الدائري والفرن التقليدي، وكل واحد منها يختلف شكله حسب الوظيفة.

الفرن المربع يشتعل بالغاز ، تُرتب فيه الأواني خاصة البلاطات والمربعات الخام، على حوامل حتى لا تنكسر، وبعد ذلك تُحرق فيه كل أنواع الفخار والخزف في درجة حرارة 980م°. (الصورة 4)

الصورة 4:



الفرن المربع (عن الباحثتين)

والفرن الدائري يشتعل بالغاز ومخصّص لحرق كل أنواع الفخار والخزف أيضا، له قاعدة من آجر توضع عليها الأواني ، وغطاء حديدي يرُفع ويُنزل يدويا ، لكنه يختلف عن الفرن المربع في الوظيفة، إذْ يُستعمل لحرق الفخار الأسود البوكيرو bucchero والسجيلي sigillta على درجة حرارة 1020م°. وفي حالة إنتاج البريق المعدني العادي ذي اللون الأسود أو النحاسي على الأواني، يُضاف له برميل حديدي مخصّص لعملية الأكسدة . (الصورة 5)

الصورة 5:



الفرن الدائري (عن الباحثتين)

أما الفرن التقليدي أو الفرن الإسلامي ، كما يسميه صاحب الورشة ، فهو يشتعل بالحطب، يُستعمل لإنتاج البريق المعدني الإسلامي ذ ي اللون الذهبي والنحاسي على درجة حرارة 760م° إلى 780م°، حيث يستعمل في عملية إشعالها أوراق وأغصان إكليل الجبل (الآزير) والصنوبر، لما لهما من تأثير على الأكاسيد المعدنية في إكساب القطع الخزفية لونًا مائلًا إلى الأصفر والنحاسي. (الصورة 6)

الصورة 6:



الفرن التقليدي (عن الباحثتين)

تحتوي هذه القاعة أيضا على آلات أخرى نذكر منها: **آلة التّشكيل بالضغط والطّبع** ، وهي آلة توضع بها قوالب مربعة تحتوي على أشكال زخرفية مخرمة أو غائرة لتشكيل البلاطات وزخرفتها في آن واحد. **وآلة تشكيل الحبال الطينية** وهي آلة توضع بها العجينة لتخرجها على شكل حبال غليظة أو رقيقة حسب حجم الثقب المركب بها، ثم يقطعها الحرفي بواسطة القاطعة حسب الحجم الذي يحتاجه لتشكيل القطعة الفخارية على الدولاب، والغرض من وضعها في هذه الآلة هو نزع الهواء منها عن طريق الضغط، لجعلها متجانسة وصالحة للتشكيل.

4.3.2 قاعة الزخرفة: وهي القاعة التي تُنفّذ فيها كل أنواع الأساليب الزخرفية، حيث تحتوي على طاولة كبيرة مجهّزة بأدوات عديدة كدولاب الزخرفة، وأنواع الريشات والأقلام والإجاصات الخاصة بملء المينا، وكل أنواع وألوان الأكاسيد. (الصورة 7)

الصورة 7:



قاعة الزخرفة (عن الباحثتين)

5.3.2 غرفة التخزين: وهي مخصصة لتخزين الأواني ذات الاستعمال اليومي.

6.3.2 قاعة العرض: تُعرض فيها كل منتجات الورشة ذات القيمة الثمينة.

7.3.2 دار الضيافة : هي من ملحقات الورشة ومجهزة بأثاث تقليدي، يستقبل فيها الفنان مختلف الزوّار من داخل وخارج الوطن. (الصورة 8)

الصورة 8:



دار الضيافة (عن الباحثتين)

3. تقنيات الصناعة وأساليب الزخرفة المستعملة في الورشة:

لصناعة أي آنية فخارية أو خزفية في ورشة "فن وخزف"، يجب المرور على عدة مراحل أساسية كإعداد المادة الأولية (العجينة) وتشكيل الآنية وحرقها في الفرن ثم زخرفتها إلى غير ذلك.

1.3 إعداد المادة الأولية:

تختلف خصائص الطينة باختلاف المناطق وفقًا لطبيعة المقالع ، الأمر الذي يجعل من اختيار نوعيتها معيارًا لتحديد مكان الصناعة ونوعية المصنوعات . يستعمل الحرفي السيد رضا الساحلي في ورشته نوعين من الطينة إضافة إلى البطانة والمينا الأبيض، وذلك حسب خصوصية الأواني. حيث تُجلب هذه المادة الأولية على شكل كتل طينية ذات وزن 25 كلغ، منها المحلية التي نجدها في عدة مناطق مثل سيدي راشد بولاية تيبازة ومشونش بولاية بسكرة وندرومة بولاية تلمسان، ومنها المستوردة من البلدان الأوروبية كإسبانيا وإيطاليا وفرنسا.

1.1.3 الطينة الحمراء: هي طينة داكنة تصبح مائلة إلى الحمرة بعد تعرضها للطهي [16] تتوفر بكثرة في معظم الأماكن لتشابهها مع التربة الزراعية، مما يجعل الحصول عليها أمرا سهلا [17]. يعود لونها الأحمر إلى احتوائها على أكسيد الحديد إلى جانب شوائب من الكوارتز والفلسبار والميكا، إضافة إلى نسب ضئيلة من الجير والمغنيسيا [18]، وهي لا تُحرق في الأفران ذات الحرارة القوية حتى لا تنكسر [19]. يجلب الحرفي هذا النوع من الطينة من منطقة بيدر بندرومة ولاية تلمسان، فإذا أراد تشكيل الأواني المخصّصة للطهي، يضيف لها الشقف الفخارية بهدف تماسك العجينة لتصبح الأواني المصنوعة منها مقاومة للحرارة. أما إذا أراد أن يصنع تحفا ذات الاستعمال اليومي أو للزينة فإنه يستعملها خام دون إضافات.

2.1.3 الطينة البيضاء (الكاولين): تعتبر من أجود أنواع الطينة، وهي قوية ومتماسكة الأجزاء، تتواجد في أغلب الأحيان على شكل كتل وجيوب في وسط صخور أخرى، ونادرا ما تتمثل في ترسبات [20]. يمكن استخدام هذه الطينة في درجة حرارة عالية [21] وهي تستعمل في صناعة الفخار الأبيض الراقي، لأن هذا النوع من الطينة صافي ويسمى باسم الصيني المعتم [22]. يستعملها صاحب الورشة في تشكيل التحف الخاصة بالديكور لأنها ملساء وجيّدة.

3.1.3 البطانة والطلاء: يستعمل الحرفي البطانة والمينا الأبيض في تزيين مصنوعاته ، فالبطانة عبارة عن طينة سائلة بيضاء تُغطس فيها الأواني بغرض تغطية لون العجينة وسدّ مسامها، ثم يُضاف فوقها المينا الشفاف لتتم الزخرفة عليه. غير أنّ من أبرز عيوب هذه التقنية قابليتها للتقشّر. أما المينا الأبيض فهو مسحوق أكسيد القصدير يُحلّ في الماء أو الخل أحيانا ليعطينا اللون الأبيض، والذي تتم الزخرفة عليه مباشرة دون استعمال البطانة.

---

[16] عبد اللطيف الخلابي، المرجع السابق، ص 155.

17 محمد الطيب عقاب ، الأواني **الفخارية الإسلامية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط، الجزائر، 1984م، ص 22.

[18] أسماء محمد ابراهيم العيسلي، **استخدام الطينات الملونة في التشكيل الخزفي وأثرها في تنمية القدرة الإبداعية لدى طلاب كليات التربية النوعية** ، رسالة ماجيستير في التربية الفنية، جامعة عين شمس طنطا، مصر، 2001م، ص 46.

[19] محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 22.

[20] Emile B, Op.cit, P 57-58.

[21] محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 26.

[22] أسماء محمد ابراهيم العيسلي، المرجع السابق، ص46.

2.3 تقنيات الصناعة المستعملة في الورشة:

1.2.3 تقنية التشكيل بالدولاب : يتم تشكيل الآنية الفخارية فوق الدولاب يدويًا بأشكال مختلفة ومتنوعة وفق الحاجة. حيث تُؤخذ قطعة من العجينة بحجم يتناسب مع التحفة المراد إنجازها، ويضعها الحرفي على قرص الدولاب. ثم يحرك الدولاب بسرعة مناسبة ويقوم بتمديد العجينة نحو الأسفل أو الأعلى عدة مرات بعد تبليل أصابعه بالماء، ليتحكم فيها حتى تأخذ الشكل المرغوب فيه إمّا مفتوحا أو مُغلقا، ثم يقوم بتمليس واجهتها بواسطة إسفنجة[23]. وبعد الانتهاء من التشكيل يقوم بفصل الآنية عن الدولاب بواسطة سلك معدني قاطع. (الصورة 9)

الصورة 9:



تقنية التشكيل بالدولاب (عن الباحثتين)

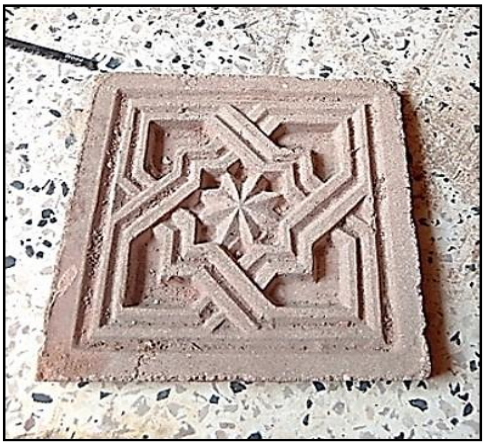
2.2.3 تقنية القولبة: تتم هذه التقنية بصبّ العجينة وهي سائلة في قوالب ج بسرية مختلفة الأشكال والأحجام (المذكورة سابقا، يُنظر الصورة 3) إلا أن الجبس يجب أن يكون من النوعية الجيدة، وهو المادة الوحيدة التي لا تلتصق مع الطين [24]. حيث يتم خلط العجينة السائلة جيدا في آلة الخلط، ثم تُصبّ في قوالب مشكلة من جزئين حتى تجف، وتُترك العجينة بداخلها لمدة ساعة أو ساعتين حتى تتماسك ثم تُنزع عنها القوالب وتُخرج بحذر، لتعطي الشكل المطلوب.

3.2.3 تقنية الضغط بالآلة : تستعمل في هذه التقنية آلة التّشكيل بالضغط والطّبع التي تمّ ذكرها سابقا، وتتم هذه التقنية بإدخال العجينة في الآلة والضغط عليها باستعمال طوابع مزخرفة، فتتشكل

[23] Emile B, Op.cit, P 192.
[24] Ibid. P 212.

الزخارف على البلاطات إما غائرة أو مخرّمة، ثم تترك لتجف قبل إدخالها إلى الفرن، وتعتبر هذه التقنية تقنية تشكيلٍ وزخرفةٍ في آن واحد. (الصورة 10)

الصورة 10:



بلاطة تحمل زخارف غائرة (عن الباحثتين)

4.2.3 تقنيتي السيجيلي والبوكيرو:

يعتبر الفخار السيجيلي من أهم أنواع منتجات الصناعة الخزفية الرومانية التي انتشرت في جميع أنحاء الإمبراطورية (الغربية والشرقية) في القرن 1م، وهذا الانتشار يشهد على وجود ورشات صناعية تنتج أواني متقنة وفاخرة، صُنعت من عجينة ذات لون أحمر فاتح يميل إلى البرتقالي مغطاة بطلاء أو بطانة[25]. ومن خلال لون هذه البطانة يمكن تحديد أصناف هذا النوع من الفخار. فاللون الأحمر الفاتح المائل إلى البرتقالي من خصائص الفخار السيجيلي الإيطالي، والأحمر الخفيف المائل إلى الداكن يعتبر من خصائص فخار منطقة بلاد الغال القديمة. أما اللون البرتقالي الفاتح فهو اللون الذي تميز به فخار شمال إفريقيا[26]. وفي ورشة فن وخزف، يضع الحرفي الآنية بعد تشكيلها داخل برميل حديدي في الفرن الدائري (يُنظر الصورة 5) مع إضافة الحطب والأعشاب، وعلى درجة حرارة 750م° مع مراقبة مؤشر

[25] Yoanna L, **Etude de La Diffusion en Gaule d'une Technique Romaine d'Elaboration de Sigillées à Travers l'Analyse Microstructurale des Surfaces Décoratives (ou Engobes)**, Université Toulouse 3 Paul Sabatier, sd, PP 1, 12.

[26] **Le Courrier Archéologique du Languedoc-Roussillon, Bulletin Trimestriel**, Bulletin d'Information, Association de l'Archéologie en Languedoc-Roussillon, N° 17, 1984, P2.

درجة الحرارة، إذ يبقى الدخان داخل البرميل لتتم عليه عملية الإرجاع أو الاختزال (وهي عكس عملية الأكسدة). كما يتحكم الحرفي في مدة الطهي، فإذا أراد أن ينتج فخار البوكيرو فإنه يترك الآنية مدة أطول ليصبح لون العجينة أسودا من الخارج والداخل معا. أما إذا أراد أن ينتج الفخار السيجيلي، فإنه يترك الآنية مدة قصيرة داخل البرميل ليصبح لون العجينة أسودا من الخارج، بينما يبقى اللون الأصلي للعجينة كما هو، ولهذا يطلق على هذين النوعين اسم فخار ذو اللون الأسود، لأن كلاهما أسود من الخارج.

3.3 أساليب الزخرفة الأكثر استعمالا في الورشة:

1.3.3 أساليب الحزّ والكشط والتخريم:

يتم أسلوب الحزّ بآلة حادة من خلال خدش الآنية وإحداث زخارف عليها قبل أن تجف عجينتها. أما الكشط فيُنفّذ عن طريق أخذ طبقة من العجينة تكون أكبر من تلك التي تنزع عند الحزّ، بحيث تكون زوايا الزخارف حادة ومنفرجة لتظهر الظلال. بينما التخريم يتم بنزع كمية من العجينة وهي طرية، لتشكيل الزخارف المثقوبة. هذه الأساليب الثلاثة تُنفذ كلها بواسطة عدة أدوات مختلفة. (الصورة 11)

الصورة 11:



أساليب الحز والكشط والتخريم (عن الباحثتين)

2.3.3 أسلوب تحت المينا:

يتم بوضع المينا الأبيض أو الأزرق على الآنية ثم الزخرفة عليه، و يتم ذلك برسم الشكل الزخرفي بالقلم على ورق شفاف، ثم يوضع هذا الورق على الآنية وإحداث ثقوب على حدود الرسم، ويمرّر

الفحم فوقها لإظهار الرسم. ثم يُعاد رسم الحدود بواسطة فرشاة باللون الأسود أو البني ويُلوّن بالأكاسيد المعدنية. وبعدها تغطس الآنية في مادة التزجيج أو تُرشّ بواسطة مسدس، وهكذا تصبح جاهزة للحرق بإدخالها في فرن تحت درجة 980م°.

3.3.3 أسلوب البريق المعدني:

يُعد البريق المعدني من أبرز الابتكارات التي أبدعها المسلمون في مجال صناعة الخزف، إذ لم تعرفه الحضارات السابقة للإسلام. كما أنّ الصين، رغم تفوقها في هذا الفن، لم تتمكن من اكتشافه [27]. وقد أغنى هذا النوع الزخرفي المسلمين عن استخدام الأواني الذهبية، التي حرّمها الإسلام لِمَا تدل عليه من ترف وإسراف وبذخ [28].

تتم الزخرفة بالبريق المعدني في ورشة "فن وخزف" بتحضير محلول يتكون من أكسيد النحاس ونترات الفضة والخل والطين، ويرسم به فوق طبقة التزجيج، ثم تُدخل الآنية إلى الفرن التقليدي على درجة 550م° وتسدّ فتحات الفرن فتحدث عملية الاختزال أو الإرجاع، حيث يتحول الأكسجين إلى دخان داخل الفرن، فتنتج عنه طبقة رقيقة من النحاس تلتصق في مادة التزجيج، وبعدها يتم إخراج التحفة الخزفية وتُزاح عنها طبقة الفحم فيظهر اللون الأصفر البرّاق، وهذا النوع يسمّيه صاحب الورشة: "البريق المعدني الإسلامي". وهناك نوع ثاني وهو البريق المعدني العادي الذي تمّت الإشارة إليه سابقا، تُستعمل فيه نفس المراحل السابقة، لكن الاختلاف بينهما يكمن في أن آنية هذا النوع تُحرق في الفرن الدائري وليس في الفرن التقليدي، حيث توضع في البرميل الحديدي وعلى درجة حرارة 980م° فينتج اللون النحاسي. (الصورة 12)

الصورة 12:



[27] يوسف عبد الرؤوف، **الخزف الإسلامي**، متحف الخزف الإسلامي، د ط، القاهرة، مصر، 1988م، ص5.

[28] الباشا حسن، المرجع السابق، ص254.

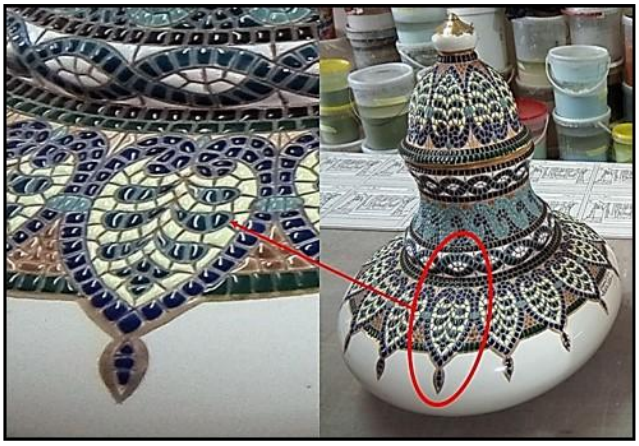
تحف مزخرفة بأسلوب البريق المعدني الإسلامي والعادي (عن الباحثتين)

4.3.3 أسلوب الفسيفساء:

وهي تقنية خاصة بالفنان رضا الساحلي، تشبه الفسيفساء لكنها ليست قطعا صغيرة، تحصّل بواسطتها على الجائزة الوطنية الأولى في الخزف الفنّي. تتم بتقسيم حدود الرسم بالحبر الجاف إلى أجزاء صغيرة ثم تُملأ بالمينا بواسطة أداة تسمى الإجاصة، فإذا وصل المينا (سائل مائي) للحدود المرسومة (الحبر وهو عبارة عن سائل زيتي) فإن اللون يتوقف ثم ينتفخ قليلا، وبعد إدخاله الفرن يصبح بارزا أكثر، مما يعطيه شكل قطع صغيرة وكأنها فسيفساء. (الصورة 13)

الصورة 13:





تقنية الفسيفساء (عن الباحثتين)

4. أنواع التحف المنتجة في الورشة:

تنوعت المصنوعات الفخارية والخزفية التي أبدعتها هذه الورشة بشكل لافت، حيث نجد الأواني المخصَّصة للاستعمال اليومي كالسلطانيات والأكواب والقدور والصحون، والتي تُلبي مختلف حاجات الإنسان المنزلية والمعيشية. إلى جانب لوحات زخرفية وتحفًا فنية متقنة الصنع، والتي تحمل زخارف متنوعة منها النباتية ذات الطابع الجمالي الطبيعي ، والهندسية التي تعكس دقة التشكيل والتنظيم، إضافة إلى الزخارف المعمارية التي تحاكي العناصر البنائية ، وكذا الحيوانية التي تجسّد عالَم الكائنات، فضلا عن الزخارف الكتابية التي تحمل في طياتها بُعدا فنيا وروحيا في آن واحد.

ومن الصعب أن نحيط بكل ما تزخر به الورشة من تحف وأعمال فنية في هذا المقال، لذا اكتفينا بانتقاء نماذج منها، تكشف بدورها عن تنوّع التقنيات الصناعية وتعدد الأساليب الزخرفية المعتمدة. كما يجدر بالذكر أن هذا الحرفي لم يقتصر على الإبداع المعاصر فحسب، بل خصّص جزءًا من نشاطه لإنتاج تحف مقلَّدة لفخار وخزف الفترات الغابرة، سواء الإغريقية أو الرومانية أو الإسلامية، محاكيًا بذلك دقّة أواني وتحف تلك الفترات ، ومبرزًا قدرته على الجمع بين الأصالة التاريخية والإبداع الفني الراهن. (الصورة 14)

الصورة 14:



بعض النماذج من التحف المنتجة في الورشة (عن الباحثتين)

5. مقومات استمرارية ورشة "فن وخزف" واستغلالها في المجال الاقتصادي والسياحي:

إن نجاح واستمرارية أي عمل فنّي مرتبط بمدى قوة إيمان صاحبه بوجوده، وإن انتعاش هذا النوع من الورشات إنّما يَنِمُّ عن مقومات فعلية وتحسيسية وفقا لإمكانيات وموارد صاحبها، وذلك للمساهمة في تفعيل النشاط الاقتصادي والسياحي. فالثقافة محفزة للسياحة، كما أن الصناعة الحرفية مدعِّمة للسياحة، وذلك من خلال الاحتكاك والتفاعل وتبادل الأفكار والمصنوعات وتقنيات صناعتها، بين أهل المنطقة السياحية المروّجين لها وبين الزوّار السّائحين الذين أتوا من خارج المنطقة بأفكار وثقافات وميولات مختلفة. إن قطاع الحرف والصناعات التقليدية مهمّ جدا في تطوير السياحة في الجزائر، والذي يجب تثمينه وتوظيفه بشكل سليم ومنظّم في تحسين صورة البلاد وتعزيز مكانتها السياحية والاقتصادية، خصوصا وأنها تزخر بتنوع ثري وفريد من نوعه، منتشر ا على طول التراب الوطني من حيث إنتاج المصنوعات والتحف الفنية والتقليدية.

كما أن التنوع الثقافي المادي واللامادي الذي تزخر به كل منطقة من مناطق الجزائر الشاسعة، وما يرافقه من فنون وصناعات وتقاليد شعبية كصناعة الزرابي والحلي والفخار والنسيج والجلود، وكذا الرقصات الفلكلورية والألبسة التقليدية وغيرها، يُعدّ عاملَ جذبٍ للسوّاح. تزداد أهميته خاصة عند اقترانه وعرضه في المواسم والأعياد في إطار التظاهرات الثقافية، التي تساهم بالتعريف بتلك الصناعات والحرف، وبالتالي التعريف بالمدن التي تشتهر بها كمراكز صناعية وحرفية[29].

وقد تنبّه الفنان الحرفي رضا الساحلي لهذا المفهوم ولهذه الأهمية، وحاول تطوير ورشته للحفاظ على استمراريتها ومساهمتها في إبراز مستوى الصناعة الحرفية السياحية في مدينة تيبازة، التي تمزج بين أصالة الفن التقليدي ومعاصرة الرّواج السياحي والصناعي والثقافي. حيث استعمل مختلف الوسائل للإشهار بورشته والترويج بمنتجاته الفنية، واتبع الخطوات التالية لكسب اسم فنيّ داخل وخارج الوطن:

- إنشاء مجموعات على مواقع التواصل الاجتماعي للتعريف بالورشة.
- فتحْ قاعة لعرض التحف الفنية.
- إنشاء دار ا لضيافة لاستقبال الزوار من داخل وخارج الوطن، بغرض زيارة الورشة واقتناء المصنوعات، وكذا حضور حصصٍ تكوينية في الخزف لفائدة الزوار الراغبين في تعلم الحرفة.

---

[29] سعاد مكيسار، زوليخة تكروشين، **السياحة الثقافية في الجزائر ودور التراث الأثري في تنشيطها وتنمية اقتصاد البلاد**، واقع التراث العربي ضمن تحديات الساعة، المركز الدولي للأبحاث والدراسات الاجتماعية والانسانية، بريطانيا، 2021م، ص114.

- القيام بتنظيم حصص تكوينية بورشته لفائدة الطلبة والهواة في مجال الخزف الفني.
- استغلال التسويق مع المؤسسات الخاصة بحذاقة.
- المواظبة بشكل واسع على المشاركة في المعارض الوطنية والدولية لبيع تلك التحف القيّمة، والترويج لأهمية هذه الحرفة التقليدية التي تحتاج لالتفاتة واسعة وتدعيمٍ كبيرٍ من أجل استمراريتها.

- **خاتمة:**

في ختام هذا المقال الذي تناولنا فيه تعريفا عاما لورشة "فن وخزف" لصناعة الفخار والخزف بمدينة تيبازة، توصّلنا إلى أنها ورشة صناعية حرفية فنيّة، تخصصت في إنتاج جميع أنواع الفخار والخزف سواءً أكان فنيا أو تجاريا، فهي تعتبر من أشهر الورشات الحرفية في الجزائر التي تجمع بين أصالة المنتجات التراثية والفنية، وبين معاصرة المنتجات التجارية ذات الاستعمال اليومي والفني، وهذا بفضل تجهيزها بمعدات ووسائل صُمّمت من طرف الحرفي نفسه، والذي هيّأها لأنْ تكون من بين الورشات الصناعية التي ترقى بصناعة الفخار والخزف محليا ووطنيا ودوليا.

تميّزت تحف الورشة بالتنوع والدقة والإتقان، إذ تنوعت بين الفنية وذات الاستعمال اليومي، صُمّمت بمختلف التقنيات الصناعية ومختلف الأشكال والألوان، وزيّنت بزخارف متنوعة وفق أساليب زخرفية متطورة، مع الحفاظ على أصالة موادها وتقنيات تشكيلها. كما تعتبر منتوجاتها تراثا وطنيا يجب دعمه وتشجيعه للنهوض بمجال الصناعات التقليدية بمنطقة تيبازة خاصة والجزائر عامة، فهي نماذج فنية رائعة يمكن إدراجها ضمن مقوّمات جلب السوّاح والهوّاة المحليّين والأجانب، وتوريث صناعتها بتنظيم ورشات تكوينية للشباب المهتم، وبالتالي المساهمة في نشر الوعي الحرفي والصناعي لديهم، وكذا تدعيمهم وتشجيعهم على تطوير أفكارهم وإبداعاتهم، وتثمين هذه الصناعة الحرفية وحفظها من الزوال، وفتح آفاق واسعة للتبادلات والمشاركات فيما بين الحرفيين المحليين والحرفيين من مناطق أخرى ودول أخرى، ما يعكس تبادل الخبرات وتعزيز التنوع الحرفي وثرائه، ورفع مستوى اقتصاد المنطقة وسياحتها. وبهذا نأمل أن تلقى مثل هذه الورشات الدعم اللازم من طرف السلطات المعنية، لاستغلالها في تكوين حرفيين شباب وتسهيل استمراريتها وتطويرها، والحرص على الحفاظ عليها كموروث حضاري وثقافي.

قائمة المراجع:

القرآن ا لكريم:

- سورة الرحمان، الآية 14.

المراجع العربية:

- ابن منظور، **لسان العرب**، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العُبيْدي، ج 10، حرف الفاء، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1419هـ/1999م.
- الباشا حسن، **مدخل إلى الآثار الإسلامية**، دار النهضة العربية، د ط، القاهرة، 1990م.
- أسماء محمد ابراهيم العيسلي، **استخدام الطينات الملونة في التشكيل الخزفي وأثرها في تنمية القدرة الإبداعية لدى طلاب كليات التربية النوعية** ، رسالة ماجيستير في التربية الفنية، جامعة عين شمس طنطا، مصر، 2001م.
- بطرس البستاني، **قطر المحيط**، ج2، د ط، بيروت، 1869م.
- سعاد محمد ماهر، **الفنون الإسلامية**، مكتبة هلا للنشر والتوزيع، ط2، د.ت.
- سعاد مكيسار، زوليخة تكروشين، **السياحة الثقافية في الجزائر ودور التراث الأثري في تنشيطها وتنمية اقتصاد البلاد** ، واقع التراث العربي ضمن تحديات الساعة، المركز الدولي للأبحاث والدراسات الاجتماعية والانسانية، بريطانيا، 2021م، ص ص 96- 118.
- عبد اللطيف الخلابي، **الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي (669 . 960 هـ/ 1270 . 1550م)**، أطروحة لنيل دكتوراه وطنية في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس (المغرب)، 2007 . 2008م.
- محمد الطيب عقاب ، الأو **اني الفخارية الإسلامية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط، الجزائر ، 1984م.
- يوسف عبد الرؤوف، **الخزف الإسلامي**، متحف الخزف الإسلامي، د ط، القاهرة، مصر، 1988م.

المراجع الأجنبية:

Emile B, **Traité Des Industries Céramique**, in Encyclopédie Industrielle Gauthier, Villars et Fils Imprimeurs, Librairies, Paris, 1897.

Le Courrier Archéologique du Languedoc-Roussillon, Bulletin Trimestriel , Bulletin d'Information, Association de l'Archéologie en Languedoc-Roussillon, N° 17, 1984, PP 1-8.

Yoanna L, **Etude de La Diffusion en Gaule d'une Technique Romaine d'Elaboration de Sigillées à Travers l'Analyse Microstructurale des Surfaces Décoratives (ou Engobes)**, Université Toulouse 3 Paul Sabatier, sd, PP 1- 12.